

بسم الله الرحمن الرحيم

المربي القرآني

الدكتور أحمد العسال

في ذمة الله



فقدت الأمة الإسلامية والعربية، عالماً جليلاً ورمزاً من رموز العمل الدعوي والتعليمي، وأحد رجالات جماعة الإخوان المسلمين العظام؛ د. أحمد العسال رئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقاً، والذي وافته المنية صباح السبت 28 رجب 1431 الموافق 10 يوليو 2010 م عن عمر يناهز 82 عاماً وذلك بعد حياة حافلة بالعمل في خدمة الدعوة الإسلامية .

الفقيه في سطور

- من مواليد 16 مايو 1928م، ونشأ في قرية الفرستق مركز بسيون بمحافظة الغربية .
- تخرّج في كلية الشريعة بجامعة الأزهر تخصص تدرّيس عام 1958م .
- عمل في مكتب شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت عام 1960م .
- سافر في بعثة إلى قطر لتدرّيس مادة اللغة العربية في مدارسها الثانوية في الأعوام من 1961 حتى 1965م .
- حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة "كامبريدج" في لندن عام 1968م .
- عمل في تحقيق المخطوطات بجامعة "كامبريدج" حتى عام 1970م .
- تولّى رئاسة قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية في الأعوام من 1970 حتى 1984م .
- رافق الدكتور يوسف القرضاوي في الدراسة بالأزهر الشريف، وهو من أخص أصحابه .
- عمل مستشاراً لرئيس الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد - باكستان .
- له باع طويل في تأليف المناهج الإسلامية والعديد من المؤلفات في مختلف المجالات الإسلامية .
- أسس دار الرعاية الإسلامية في إنجلترا .

المسيرة العطرة

ولد الدكتور أحمد العسال في السادس عشر من مايو عام 1928م، بقرية الفرستق التابعة لمركز بسيون بمحافظة الغربية في دلتا مصر، حيث سمات البيئة الزراعية المنتجة وحيث الصفاء الروحي والذهني والهدوء والسكينة وكل القيم الإنسانية الجميلة التي تتسم بها المجتمعات الزراعية.

نشأ في أسرة مترابطة تعشق العلم وأهله ، ففي سنوات عمره الأولى حرص والده على أن يحفظه القرآن الكريم كاملاً ، فنتبع مشايخ القرية الجيدين، ونقله من شيخ إلى شيخ حتى أتم حفظ القرآن في سن العاشرة والنصف، وحصل على جائزة الملك فاروق التي خصصها لمن يتم حفظ القرآن كاملاً قبل سن الثانية عشرة.

وأثناء حفظه للقرآن بالكتاب كان يذهب إلى المدرسة وحصل على الشهادة الابتدائية ، ثم قدم له والده في المعهد الديني الأزهرى الابتدائي بطنطا ، وهناك تزامن مع الشيخ يوسف القرضاوي في فصل واحد.

وفي يوم من الأيام بعد خروجه من المعهد شده منظر " جولة الإخوان المسلمين " تقف في الشارع وتهتف : " الله أكبر والله الحمد " فهزته تلك الهتافات ومضى خلف الجواله وعرف مقر شعبة الإخوان بطنطا.

تتلذذ في المعهد على يد الأستاذ البهي الخولي صاحب كتاب " تذكرة الدعاة " وأحد أبرز أعضاء الإخوان في ذلك الوقت، فتولاه وزملاءه بالتربية وكان يجلس معهم مرتين في الأسبوع يومى الأحد والثلاثاء كما كان يلتقي بهم مرة كل شهر في " كتيبة الذبيح " في جو روحاني إيماني مؤثر ، كما كان يعدهم بدنياً ورياضياً الأستاذ أحمد إمام (زوج أخته زوجته فيما بعد) ، الذي كان يسير بهم في طابور الجواله في بعض الأحيان

لمسافة 10 كيلومترات، كما تأثر بشدة بالأستاذ أحمد البس مدرس الابتدائي ابن قرية القضاة ببسيون الذي لم يترك وسيلة لنشر الخير إلا واتبعها بكل بساطة وتلقائية ، كما كان شديد التأثر بوالده " محمد العسال " الذي كان شغوفاً بالقرآن الكريم ويذكر له عاداته في وضعه يده اليمنى على رأس الطفل من أطفال العائلة شديد الصراخ والبكاء تالياً قول الله عز وجل " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله " ويظل يكرر في قوله " خاشعاً " حتى يهدأ الطفل ويكف عن الصراخ والبكاء.

ولما دخل الثانوي تدرّب على الخطابة وانضم لقسم نشر الدعوة في الإخوان وكان يخطب الجمعة في القرى المحيطة بطنطا، وشارك في عقد وتنظيم المؤتمرات المنادية بمطالب الأزهريين ومساواتهم بغيرهم من خريجي الجامعات المصرية ، فكان يحضر المؤتمرات التي يعقدها طلاب الأزهر في عواصم المديرية مع ممثلين عن المعاهد الدينية في أنحاء المملكة المصرية وقد حددوا فيها مطالبهم ونقلوها إلى المسؤولين بالأزهر والحكومة المصرية ومنها:

- إعادة النظر في المناهج والكتب الدراسية.
- الاهتمام بالجانب التربوي والسلوكي لطلاب الأزهر.
- إدخال اللغة الإنجليزية إلى المعاهد الأزهرية.
- فتح باب الكليات العسكرية والمدنية أمام حملة الثانوية الأزهرية.
- فتح معاهد دينية للفتيات.
- إعادة فتح باب الدراسات العليا وتعيين معيدين بكليات الأزهر .

ولم يكتف هو وزملاؤه بعقد المؤتمرات، ورفع المطالب والتوصيات بل كانوا أحياناً يدعون إلى الإضراب أو تنظيم المؤتمرات ، وكثيراً ما حدث صدام بينهم وبين الشرطة وتعرضوا للإيذاء من أجل الأزهر.

ومرت السنون وجاءت حرب فلسطين 1948 وتطوع فيها عدد كبير من الإخوان لقتال الصهاينة، وكانت النتيجة حل جماعة الإخوان واعتقال أعضائها، فقام مع زملائه بالأزهر بعمل إضرابات ومظاهرات تنديداً بحل الجماعة ، واعتقل هو وزملاؤه من الطلاب إثر هذه المظاهرات وتم ترحيله من قسم أول طنطا إلى الهايكستب ، ثم إلى معتقل الطور ، وكان الشيخ محمد الغزالي هو مسئول الإخوان في معتقل الطور وكان معه في المعتقل الشيخ يوسف القرضاوى والشيخ عبد المعز عبد الستار والشيخ السيد سابق.

ظل في المعتقل 9 أشهر ، وتخلف عن أداء الامتحانات لكن قام الدكتور طه حسين وزير المعارف آنذاك بعمل امتحان استثنائي لجميع الطلاب المعتقلين ونجح فيه، وتقدم لكلية الشريعة وتقدم صديقه يوسف القرضاوى لكلية أصول الدين.

الفقيد و"الإخوان"

يقول الدكتور أحمد العسال عن التحاقه بالإخوان: "العجيب أنني والشيخ يوسف القرضاوي كنا نسير في الشارع بعد خروجنا من المعهد، فوجدنا جولة الإخوان تقف في الشارع تهتف "الله أكبر والله الحمد" وتقول: "الله غابتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا" فهزنتنا المبادئ، فمضينا خلف الجوّالة فعرّفنا الشّعبة، وكنا آنذاك في الصف الثالث الإعدادي الأزهرى، وكان يدرّس لنا في المعهد أستاذ طبيب، وكان عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، وهو الأستاذ بهي الخولي، فتولّانا وكان يجلس معنا كل أسبوع مرتين، يومي الأحد والثلاثاء، ولما دخلنا الثانوية أنا والشيخ يوسف تدرّبنا على الخطابة، وكان في ذلك الوقت الأخ أمين الوصيف المسئول عن قسم نشر الدعوة، فكان كل يوم خميس يوزع علينا القرى المحيطة بطنطا لنخطب فيها الجمعة، ومرت السنون حتى جاءت محنة 48 وتم حل جماعة الإخوان المسلمين".

المحن والاعتقالات:

كانت أولى اعتقالاته وهو في الصف الخامس الثانوي، حينما قام هو وبعض من الإخوان بعمل إضرابات ومظاهرات حتى لا تُحل الجماعة، واعتقل هو والشيخ القرضاوي وبعض الإخوان الآخرون إثر هذه المظاهرات، وتم ترحيلهم من قسم أول إلى الهايكستب، ثم إلى معتقل الطور، ولما عرفوا أنهم طلاب ثانوية استحووا وأعادوهم إلى الهايكستب، ثم أعادوهم مرة أخرى إلى الطور، وكان الشيخ محمد الغزالي في ذلك الوقت هو مسئول الإخوان في المعتقل، وكان معهم في المعتقل الشيخ عبد المعز عبد الستار، وبعد خروجه من المعتقل بعد ما يقرب من 9 أشهر كانت مدة الامتحانات قد انتهت، ولكن قام الدكتور طه حسين - وزير المعارف آنذاك - بعمل امتحان استثنائي للمعتقلين، لكنه جاء متأخراً فامتنح هو والدكتور القرضاوي، وبعد ذلك تقدّم إلى كلية الشريعة، ثم اعتقل بعد ذلك عام 1953م على يد رجال الثورة ثم أُفرج عنه، ثم اعتقل فظل في السجن الحربي حتى يونيو 1956م، فخرج وأتم دراسته بالكلية، وبعد تخرجه منعه الحكومة من التعيين في أي عمل وظيفي، فعمل في المدارس الخاصة؛ حيث عمل في مصر الجديدة.

ويقول عن فترة اعتقاله في السجن الحربي: "حرمونا من المصحف، ومع ذلك كان كل واحد منا يقدّم درسًا مما يعلمه، والاعتقال في السجن الحربي كان قاسيًا جدًا؛ حيث منعوا عنا كل شيء، سواءً كانت مصاحف أو كتبًا، وحتى الزيارات منعوها، وكنا نتدارس مع بعضنا ما نعلمه، واللطف أن البعض منا تعلم اللغة الإنجليزية على البطانية السمراء والصابون اللوكس، وأتذكر أن أول زيارة لنا في السجن الحربي كانت بعد 7 شهور".

إلى الجامعة

وجاءت المرحلة الجامعية واستمر نشاطه المعتاد داخل الإخوان في المجالات التي كان له بها صلة قوية: في قسم نشر الدعوة، وفي قسم الطلاب، وفي قسم الاتصال بالبعوث الإسلامية.

وفي أواخر سنة 1953 شارك في إنشاء لجنة (البعث الأزهرية) مع مجموعة من الأزهريين الواعين والمخلصين لقضية الأزهر: يوسف القرضاوي وعلى عبد الحليم محمود ومحمد المطراوي ومحمد الراوي وصالح أبو اسماعيل ومحمد عبد العزيز خالد ومحمد الدمرداش مراد ومحمد الصفطاوي وغيرهم إلا أن هذه اللجنة لم يكتب لها الاستمرار بسبب حل جماعة الإخوان للمرة الثانية على يد رجال انقلاب يوليو وأعيد اعتقاله وظل في السجن حتى يونيو 1956م، فخرج وأتم دراسته بكلية الشريعة بالدراسة، وبعد تخرجه منعتة الحكومة المصرية من التعيين في أي مؤسسة تابعة لها، فعمل فترة في المدارس الخاصة بمصر الجديدة وكان الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف يعرفه جيداً فساعده هو وإخوانه الذين يعرفهم من خريجي الأزهر للعمل في وزارة الأوقاف في مجلة منبر الإسلام ثم نقل إلى مكتب الشيخ محمود شلتوت بإدارة الأزهر فكان عمله بالمكتب الفني للوعظ والإرشاد، أما صديقه الشيخ القرضاوي فكان في مراقبة البحوث والثقافة.

وعمل العسال بالمكتب الفني للوعظ والإرشاد ثم طلب من الشيخ شلتوت شيخ الأزهر أن يتوسط له للإعارة خارج مصر، فتوسط له وأوصله بالشيخ عبد الله التركي - مدير العلوم الشرعية في قطر - فوافق على سفره وسافر إلى الدوحة عام 1961، وسافر بعده صديقه الشيخ يوسف القرضاوي بعام دراسي ولما عادا سوياً إلى مصر في أول أجازة تم اعتقالهما من قبل المخابرات العامة في مبناها بسراي القبة لمدة 50 يوماً، وهناك أصيب بالزائدة الدودية وأجريت له العملية وهو رهن الاعتقال، بعدها خرجا وذهبا إلى الدوحة، ولم يتمكنوا من العودة إلى مصر مرة أخرى.

ذهب العسال إلى إنجلترا لاستكمال الدكتوراه عام 1965 وحصل عليها من جامعة كمبردج بلندن في أصول الفقه عام 1968، وظل هناك حتى عام 1970، واستثمر هذه الفترة التي قضاه في لندن فأنشأ دار الرعاية الإسلامية الذي أصبح لها الآن أكثر من 20 فرعاً، وفي لندن اتصل به الدكتور عبد العزيز الفدا ليعمل معه بالمملكة العربية السعودية فوافق وذهب هناك عام 1970 ودرس مادة الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الرياض وهناك التقى بالعديد من إخوانه الذين سبقوه إلى هناك ومنهم الشيخ مناع القطان والأستاذ أحمد إمام، وظل هناك حتى استدعاه الأستاذ عمر التلمساني، فقدم استقالته وعاد للقاهرة.

تولّى رئاسة قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية في الأعوام من 1970 حتى 1984م، ورأس قسم الدعوة في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1984م، وعيّن أستاذاً بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في الأعوام من 1986 حتى 2002م، تم تعيينه نائباً فرئيساً ثم مستشاراً للجامعة الإسلامية في إسلام آباد.

الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان:

يقول الدكتور العسال عن التحاقه بالجامعة الإسلامية: "الشيخ الباقوري - رحمه الله - كان يعرفني جيداً أثناء الدراسة، وعندما شاهدني مرة بوزارة الأوقاف قال لي: أين أنت الآن يا أحمد؟ .. فقلت: والله، نحن ممنوعون من العمل .. فقال لي: قلليل من الصبر يُذهب كثيراً من السخف"، وبعدها تقدمنا لمسابقة الإمامة فرفضوا تعييننا، لكن الشيخ الباقوري - رحمه الله - قال يُعِينَا في وظيفة إدارية، فتم تعييننا في الأوقاف وعملنا في مجلة (منبر الإسلام) أنا والشيخ القرضاوي أيضاً، ثم نقلنا الشيخ الباقوري إلى مكتب الشيخ شلتوت في إدارة الأزهر.

وكان عملنا تتبّع الإذاعة والصحف وعمل تقرير إدارة الأزهر لرفعه إلى رئيس الجمهورية، ثم طلبنا من الشيخ شلتوت أن نخرج من هذا المكان؛ لأننا "تعبنا"، فأوصلنا بالشيخ عبد الله التركي - مدير العلوم الشرعية في قطر - فوافق على سفرنا، لكن عندما سافرنا إلى الدوحة وجدنا الحركة القومية أرهقت أذهان الطلاب، وقالوا لهم إن الإسلام قد انتهى، فقلنا لهم "لا" .. الإسلام لم ينته والعروبة من غير الإسلام هي الجاهلية، وبالإسلام هي القرآن وهي السنة وهي محمد صلى الله عليه وسلم، وقمنا بعمل محاضرات وندوات ومؤتمرات ولقاءات طوال العام الدراسي، ووضعنا النقاط على الحروف بعد قراءتنا لكل فكر البعث، وقمنا بالردّ على هذا الفكر، فهم كانوا يقولون اللغة والتاريخ ووحدة الأُم والأمال، فقلنا لهم إن اللغة بدون القرآن لا تكون لغةً عربيةً، وتاريخنا بدون تاريخ رسول الله وصحابته لا يكون تاريخاً.

ولما عدنا في صيف هذا العام إلى مصر جاءت تقارير لهم من هناك فاعتقلونا أنا والشيخ يوسف، وكان اعتقالاً مؤلماً ولم يعلم أي أحد عنا شيئاً، وأخذونا إلى مبنى المخابرات وسألونا، فقلت لهم نحن أزهريون، فماذا فعل غير نشر الدعوة، وعدنا مثل شعبيّ في مصر يقول "اللي ياكل عيش النصراني يضرب بسيفه"؟ فردّ الشيخ يوسف وقال هذا هو الكلام الصحيح، بعدها خرجنا وذهبنا إلى الدوحة مرة أخرى، فرفضوا أن يجددوا

الجوازات والإعارة حتى نرجع إلى مصر حتى نُعتقل مرةً أخرى، فرفضنا العودة لمصر وذهبت إلى إنجلترا لاستكمال الدكتوراه، وظللت هناك من 1965 حتى 1970م.

وظل الدكتور يوسف في قطر، وهناك في إنجلترا أخذ الصوت الإسلامي دفعةً قويةً، ثم اشترينا بيتاً حولناه إلى دار الرعاية الإسلامية، وأصبح له الآن 20 فرعاً في إنجلترا، وبعد ذلك طلب مني الإخوة الذهاب إلى ليبيا فحدث انقلابُ القذافي فذهبتُ إلى السودان فحدث انقلاب النيميري، فنصحتني الإخوة بعدم الذهاب إليهما، ثم اتصل بي الدكتور عبد العزيز الفهد للعمل في السعودية، فذهبت هناك ودرست مادة الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الرياض، وظللت هناك حتى طلبني الأستاذ عمر التلمساني، فقدمت استقالتي وجئت فوراً إلى القاهرة، ولكنهم حاولوا أن يعقلوني في فترة تحفظ السادات فلم يجدوني في البيت، ثم رجعت مرةً أخرى إلى كلية الدعوة الإسلامية بالرياض، ومن كلية الدعوة طلبني الإخوة في إسلام آباد، فعملت نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية فرييسها، وأخذ الجانب الأفغاني مجراه حتى قيض الله تحرير أفغانستان من الروس، وظللت في إسلام آباد حتى 2003م."

أحمد العسال.. المربي القرآني

الفقيه الراحل له باعٌ طويل في تأليف المناهج الإسلامية والعديد من المؤلفات في مختلف المجالات الإسلامية.

تحول بالممارسة وبمرور الأيام من وارث للتربية الإسلامية إلى مورث لها، عندما كنت تراه ينزل من بيته ساعياً إلى المسجد يهمس في أن البواب يدعو إلى صلاة الجماعة أو واقفاً مع رواد المسجد عقب الصلاة في دائرة محبيه يتفقد أحوالهم ويتحدث معهم حول معنى آية أو حديث شريف في بساطة وتلقائية، وعندما تراه وهو يصلي بالناس إماماً يختار من الآيات ما يؤثر في قلوب المصلين وفي دعائه في الفجر تجد من ضمن ما يدعو قوله: " اللهم اجعلنا لك ذاكرين .. لك شاكرين .. إليك منيبين .. ولا نكتنبا في الغافلين .. اللهم اجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين "، تدرك تماماً تمكنه في مجال التربية والإرشاد والتوجيه

غلقت الدعوة كل حياته، فتحرك بها، وامتدت جسور معارفه إلى كل رموزها، ويقدر ما كان صديقاً للنخبة كان بكل تواضع أباً وأخاً للبسطاء، لا ينسى أهله وأقاربه، رزقه الله بأخوة وأخوات، وأبناء إخوة وأبناء أخوات ولم يرزقه بالأولاد فصبر هو وزوجه صبراً جميلاً وفوضا أمرهما لله، فعوضهما الله خيراً بأبناء الأخوة والأخوات فلا تجد بيته يخلو من أحد منهم.

كان يؤمن بأن الداعية رجل أفعال يحتاج إلى زاد فكري لا ينضب وخير زاد للداعية القرآن الكريم، وكان يرى أن للقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله، بل هي الخلفية القوية التي يجب أن تكون وراء الفقيه والداعية. وضاحالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدثين في شؤون الدين.

كان يقول: "إن القراءة -أي الثقافة- هي الشيء الوحيد الذي يعطي فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونه، وهي التي تضع حدوداً صحيحة لثنى المفاهيم. وكثيراً ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعاً إلى فقرهم الثقافي. ولا بد للداعية إلى الله أن يقرأ في كل شيء .. يقرأ كل منازع الفكر البشري المتفاوتة؛ ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها."

الدكتور العسال كان رجلاً قرآنياً، فهو مع القرآن أبداً، يديم القراءة له، والتأمل فيه، والتدبر لآياته، حفظ القرآن حفظاً جيداً منذ صباه، فقلما تتد منه آية أو كلمة، أو تلتبس عليه آية بأخرى، وهذه المعاشية الدائمة للقرآن جعلت معانيه ومعارفه بين يديه، وكأنه جنة دانية القطوف، يقطف من ثمارها ما شاء الله. شعاره في هذه الدنيا قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ... لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162-163).

استطاع الدكتور العسال خلال عشرين عاماً قضاها في باكستان أن يرتقى بالعلوم والثقافة الإسلامية وأن يجعل من الجامعة الإسلامية هو ومن معه من أساتذة جامعة الأزهر صرحاً علمياً نشيطاً أثمر قوة وتحصيماً للعقيدة والتعاليم الإسلامية بين طلاب الدول الإسلامية القادمين من دول آسيا الوسطى و جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا وروسيا والقوقاز و البلقان ودول إفريقية لدراسة العلوم الإسلامية، إضافة إلى أبناء المسلمين في الصين الذين يعانون من طغيان الفلسفة المادية، ويعانون من ضعف الكوادر الإسلامية المتفككة التي تستطيع مواجهة التيارات المادية العاتية.

أخذ الدكتور العسال في تطوير الجامعة وتطوير مناهجها وجلب أساتذة الأزهر لها، وأخذت وقته وجهده وفكره حتى قفزت قفزات سريعة أكاديمياً وعمراً، وأصبحت خلال فترة قصيرة من الجامعات العالمية، فخرجت قيادات طلابية مؤهلة تأهيلاً يناسب العصر، وعلماء يقومون بإرشاد شعوبهم المسلمة مسلحين بسلاح العلم والتقوى لهم دور ملحوظ في كل ميدان من الميادين الدعوية.

ارتبط العسال برموز الحركة الإسلامية في الكثير من مناطق العالم الإسلامي، والحقيقة أن الرجل في هذا المجال لم يكن شاهداً على العصر، بقدر ما كان جزءاً من التاريخ، وربما كان صانعاً له في بعض المواقف والأحداث.

كان مرشد الإخوان التلمساني يقول عن العسال: "إنه رجل يمثل نموذجاً للشخصية المسلمة المخلصة، القادرة على التأثير بسلوكها في الآخرين، متفائل دائماً، شديد التأثير بالقرآن، عميق في إسلامه، صلب في مصريته، وعالمي في أفقه."

وقرب عالم وداعية ومربي ومفكر في قامه أحمد العسال من تاريخ الحركة الإسلامية في القرن العشرين ، ودخوله في قلب تفاصيلها محلياً وعالمياً ، يجعله جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأدبي والفكري والدعوى ، وشاهداً امتلك صفة المشارك أو صانع الأحداث ، على مدى عقود من التحولات السياسية والأدبية والفكرية والاجتماعية .

التربية قبل التأليف

ربما ظل الدكتور أحمد العسال مربيًا وداعياً أكثر منه مؤلفاً ، فكتبه المؤلفة تعد على أصابع اليدين ، وربما فضل " الداعية المربي " التأليف الجامعي ، فكتب في كل المقررات الشرعية لإفادة الطالب المسلم ، فكان من أصحاب صنعة ورواد حرفة التأليف الجامعي ، والكتاب المقرر ، والتوزيع على الطلاب . كانت رغبته في البناء والتشييد أعمق ، فهو ينتمي إلى جيل إرساء القواعد . واستطاع الدكتور العسال استيعاب كم هائل من المؤلفات في الثقافات المتعددة العربية والفارسية والتركية والهندية والصينية داخل الحضارة الإسلامية ، وكان مشروعه الفكري هو التمهيد لأجيال قادمة من أبناء المسلمين في البلاد غير الإسلامية لدراسة الإسلام ، وإعداد الخريطة العامة لعرض منهجه لهم ، بحيث يسهل الصعب ، ويفتح الأبواب للدخول . فكان نقطة التقاء يمهّد الطريق للأجيال القادمة من الصين وروسيا واليابان لدراسة الإسلام على يد علماء الأزهر وأساتذته الذين استقدمهم للعمل معه في الجامعات الإسلامية بمكة والمدينة والرياض وإسلام آباد . كان الفراغ كبيراً لدى هؤلاء الدارسين من أبناء المسلمين يحتاج إلى ملء أولى في كل الميادين ، ودون هذا الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية لما أمكن لهم البناء والتشييد بعد رجوعهم إلى ديارهم داعين ومبشرين بما درسوه من الإسلام الحنيف ولما أمكن لهم كذلك التحول من الاتساع إلى العمق ومن الأساس إلى البناء ومن القواعد إلى البيت ومن العام إلى الخاص . ساعده على القيام بهذه المهام التفرغ الكامل للمناهج الدراسية وكتابة المقررات ، والرغبة في البناء والتشييد في العمق أولاً وفي الارتفاع ثانياً .

الإخوان المسلمون

يحتسبون عند الله الدكتور أحمد العسال

يحتسب فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بديع المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين وإخوانه؛ فضيلة العالم المجاهد الأستاذ الدكتور أحمد العسال الرئيس السابق للجامعة الإسلامية بباكستان وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي وافته المنية اليوم عن عمر يناهز 82 عاماً . ويؤكد فضيلة المرشد أن الأمة فقدت عالماً جليلاً مجاهداً، لم يبخل بكلمة ولا جهاد من أجل دينه وأمته، وضحّى بكل ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحق والصدق في شتى المواقع التي تولاها، ويدعو المولى عزَّ وجلَّ أن يتقبل الفقيد في واسع جناته، وأن يلهم أهله وإخوانه وتلامذته الصبر والسلوان .

الأستاذ عاكف

يحتسب عند الله الدكتور أحمد العسال

يحتسب فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين عند الله الأخ المجاهد العالم الجليل الأستاذ أحمد العسال رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي وافته المنية اليوم، ويعزّي الأمة الإسلامية في وفاته . ويذكر الأستاذ عاكف العديد من المواقف للمجاهد الراحل، مشيراً إلى أنه وضع نفسه في خدمة العمل الإسلامي، وكان بعلمه وأدائه خير مثال للعالم المجاهد، الذي لا يبخل على دينه وأمته بأي شيء، داعياً المولى عزَّ وجلَّ أن يتغمده في رحمته، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان .

إخوان الإسكندرية

في وداع د. أحمد العسال

وقد شيعت جموع " الإخوان المسلمون " بمحافظة الإسكندرية الدكتور أحمد العسال، حيث أذّى النائب حسين محمد إبراهيم مسئول المكتب الإداري للإخوان المسلمين وعدد من قيادات الإخوان بالمحافظة؛ صلاة الجنازة على جثمان الراحل الجليل بمسجد مستشفى إبراهيم عبيد بالإسكندرية، حيث كان مقر علاجه .

وألقى محمد عبد المنعم أحد الرموز التاريخية للإخوان بالإسكندرية كلمةً، أكد فيها أن الأمة فقدت عالماً مجاهداً جليلاً من رجالات جماعة الإخوان المسلمين العظام، الذي لم يبخل بكلمة ولا جهاد من أجل دينه وأمته .

الشيخ القرضاوي

يوم مشيبي الدكتور أحمد العسال

وقد أمّ العلامة الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين الآلاف من مشيبي جنازة الراحل الجليل الدكتور أحمد العسال، بعد صلاة العصر بمسجد الحصري بمدينة 6 أكتوبر.

وتقدّم صفوف المشيعين الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام السابق للإخوان المسلمين، والدكتور محمود عزت، والأستاذ جمعة أمين، والدكتور رشاد البيومي، نواب المرشد العام للإخوان، والدكتور محمود حسين الأمين العام للجماعة، والدكتور سعد الكتاتني، والدكتور محمود غزلان، والدكتور عصام العريان أعضاء مكتب الإرشاد.

كما شارك في صلاة الجنازة كلٌّ من: الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب، والدكتور عبد الحميد الغزالي الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والدكتور محمد سليم العوا الأمين العام لاتحاد علماء المسلمين، وأحمد سيف الإسلام حسن البنا عضو مجلس نقابة المحامين، والدكتور محمد فريد عبد الخالق أحد قيادات الإخوان التاريخية، وسيد نزيلي مسئول المكتب الإداري لإخوان الجيزة، والحاج مسعود السبحي سكرتير فضيلة المرشد العام، والدكتور أحمد دياب الأمين العام للكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين، والدكتور جمال عبد الهادي أستاذ التاريخ الإسلامي، والدكتور عصام حشيش الأستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة، والنائب الدكتور جمال قرني عضو الكتلة البرلمانية، ود. سيف الدين عبد الفتاح أستاذ النظرية السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وم. عمر عبد الله منسق تجمع "مهندسون ضد الحراسة"، والمهندس علي عبد الفتاح، ود. جمال نصار.

وشيع الآلاف من تلامذة العسال ومحبيه الفقيد الراحل إلى مقابر الجمعية الشرعية بـ6 أكتوبر؛ حيث تمّ دفنه هناك.

وقال الدكتور محمود عزت: "إن الدكتور العسال كان لعمله الأثر الأكبر في تربية أجيال متعاقبة أكثر من علمه، وما كان علمه قليلاً، فشاء الله عزّ وجلّ أن يجمع الدكتور بين الحسنيين ويكون من العلماء العاملين، ونسأل الله عز وجل أن يعوّضنا ويعوّض الأمة الإسلامية فقد هذا العالم الجليل القدوة صاحب الخلق المتين".

وأضاف أحمد سيف الإسلام حسن البنا: "مات رجل والرجال قليل، مات عالم شجاع والشجاعة نادرة في هذا الزمان، نسأل الله أن يجزيه عن الإسلام وعن دعوته خير الجزاء".

وتابع: إن الفقيد الراحل ترك أثراً صالحاً في كل مكان ذهب إليه، وكان مثلاً للأخ المسلم منذ نشأته وحتى لقي ربه، وتحققت فيه كل معاني الأخوة.

من نعي رابطة العلماء السوريين

لفضيلة الشيخ د. أحمد العسال

تتعي رابطة العلماء السوريين إلى العالم الإسلامي عامة، وإلى علماء المسلمين خاصة العالم الداعية فضيلة الشيخ د. أحمد العسال - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الذي وافته المنية صباح السبت 28 رجب 1431 الموافق 10 يوليو 2010، عن عمر يناهز 82 عاماً.

وشيعت جنازة الفقيد من مسجد الحصري بمحافظة 6 أكتوبر عصر أمس السبت .

والفقيد الجليل عالم من أعلام الفكر الإسلامي، ورمز من رموز العمل الدعوي والتعليمي، ورئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقاً،

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأحد 01 شعبان 1431هـ - 11 يوليو 2010

قالوا عن الفقيد الراحل

علماء الأمة: رحيل د. العسال خسارة للدعوة الإسلامية

- الشيخ الخطيب: عمل في صمت وهدوء وعاش حياة المجاهدين

- الشيخ الشريف: كان يحب طلابه جداً ولا يبخل عليهم بشيء

- د. جابر قميحة: كان روحاً جديدة ارتقت بالجامعة الإسلامية

وصف علماء ورفقاء درب العالم الجليل د. أحمد العسال رئيس الجامعة الإسلامية السابق بباكستان وعضو الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين رحيله بأنه خسارة كبيرة للأمة الإسلامية التي فقدت برحيله عالماً بارزاً في مجاله وأستاذاً مرموقاً في الجامعة الإسلامية، وأحد أبرز دعاة الإسلام الوسطي المعتدل.

وقال فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب عضو مكتب الإرشاد السابق وأحد علماء الأزهر الشريف: "إن الأخ الدكتور أحمد العسال رحمه الله كان داعيةً لله وللإسلام في العالم، وكان يتميز بالعمل في هدوء، وفي صمت بعيداً عن الأضواء، ورأيته منذ شبابه يعيش حياة المجاهد المتقشف البعيد عن متاع الدنيا، وكان يقود الإخوان في المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي في القناة، وكان مقدماً ويتقدم الصفوف". وأكد الشيخ الخطيب أنه عرف عن الفقيد الجد والاجتهاد في خدمة دينه ودعوته وأتمته، ولم يكن يتأخر على عمل في سبيل الله، وكان سباقاً في عمل الخير ودائماً في المقدمة.

ووصفه بأنه كان جندياً مخلصاً لدينه ودعوته وأتمته، وكان المضحى بوقته وجهده من أجل رفعة الإسلام وعز المسلمين، مضيئاً أنه سيقبل على الله بإقدام وطمأنينة بفضل عمله وجهاده وصبره وبفضل من انتفعوا بعلمه نحسبه كذلك ولا نُزكي على الله أحداً. وقال إنه تأدب بأدب الداعية الموفق ولم يسئ لأحد أبداً، وكان حسن القول دائماً وتخلق دائماً بخلق النبي، وكان دائماً شعاره ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (33) (فصلت)، صدق الله العظيم.

أستاذ الجيل الجديد

وأوضح الشيخ عبد الخالق الشريف الداعية الإسلامي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أنه كان من تلاميذ الشيخ أحمد العسال، وأنه ممن تربوا على يديه ونهلوا من علمه الغزير.

وقال الشيخ الشريف: "كان شيخنا العسال دمث الأخلاق هادئ الطباع عميقاً في علمه دقيقاً في لفظه، عاش مجاهداً ينتقل بين الأقطار والأمصار مجاهداً في سبيل الله بعلمه وفكرة الغزير، متحملاً مشقة التنقل رغم مرضه لكي يؤدي واجبه نحو دينه وأتمته". وأضاف أنه كان يحب طلابه جداً ولا يبخل عليهم بشيء، وكان حبه أكبر من حب الأب لأبنائه، ونهل من علمه الغزير الآلاف الطلاب من جميع الأقطار، وكان له دور كبير في توعية وتنمية فكر أبناء الحركة الإسلامية.

وأكد الشيخ الشريف أن الفقيد من المجاهدين الكبار بالكلمة، والذي كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان دائم الصراع مع الباطل فيقاتله بفكره ويصرعه في مواضع عديدة، وكان له شرف أن يورث طلابه علم النبي صلى الله عليه وسلم، والذي سيظل يأخذ ثوابه ليوم القيامة. وأشار أن إلى أن الفقيد يستحق لقب "العالم الموسوعي"؛ حيث كان موسوعة معارف متكاملة تمشي على الأرض، وينهل الجميع منها، وكان شديد التأثير بالفكر الوسطي الذي تحمل رايته جماعة الإخوان المسلمين، وله دراسات في الاقتصاد والفقهاء والسياسة وغيرها من العلوم. وأكد الشيخ الشريف أن الفقيد من القلة النادرة من أبناء الأمة الإسلامية الذي جمع بين العلم والعمل، وكان يتميز بورع المجاهد وتقوى العالم، وكان عبداً حقيقياً لله الواحد القهار لا لغيره.

وأضاف أن من موافقه المحمودة أنه ما دُعي إلى محاضرة أو ندوة أو درس حتى ولو كان في شدة مرضه إلا ولبى الدعوة حتى من شدة مرضه، وكان يستجيب لأي دعوة ولأي فرصة يستطيع من خلالها أن يبلغ كلمات ربه وآياته للناس. وأوضح أن الفقيد كان يرى أن جهاد الكلمة من أعظم أنواع الجهاد الذي نحتاجه في عصرنا هذا لنحض الباطل وللمقاومة الغزو الفكري الغربي الذي كان يحاربه فكرياً بكل ما أوتي من قوه وعلم؛ حيث له باعٌ كبيرٌ للجهاد في هذا الباب حتى آخر لحظة من عمره الحافل.

الدكتور أحمد العسال..

حركة لا تهدأ في الدعوة إلى الله

بقلم: د. عبد الرحمن البر - عضو مكتب الإرشاد، وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

في تاريخ الأمم والدعوات رجال لهم بصماتهم الواضحة وآثارهم الكريمة التي لا يخطئها من يؤرخ لهذه الدعوة أو لتلك الأمة. وأعظم أولئك الرجال أثراً من جمع بين الفكر والحركة أو بين العلم والعمل، فقد توجية العقول، وقام بتربية النفوس، وشارك في تحقيق الآمال، وتحمل نصيبه من التضحية، وقدم نموذجاً عملياً تطبيقياً وقدوة واضحة للجيل وللأجيال المتعاقبة. ومن هؤلاء كان شيخنا الراحل الدكتور أحمد العسال رحمه الله، ذلكم العالم العامل المتواضع الوقور الذي تخفي ملامحه الهادئة نفساً مؤرأة، وتحتمل أضلاعه قلباً يشتعل حباً للدعوة، وهمة ناهضة لا تتوانى عن العطاء، والذي يُخفي سموه جندياً صادقة، وتحوي ملبسه البسيطة قلباً شجاعاً لا يعرف الخوف.

تصحيح للمفاهيم

كان الراحل الكريم دائم الحرص على دعوة جموع المسلمين إلى التمسك بكتاب الله في كل مناحي الحياة، مؤكداً شمولية الإسلام سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وغيره، رافضاً بكل وضوح مقولة "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين"، داحضاً هذه المقولة

بشرح حقيقة الإسلام الشامل الذي لن تتحقق سعادة الدنيا إلا به؛ لأن الله أرسل الدين ليصلح السياسة ويصبغها بالأخلاق، مؤكداً أن المجتمع الذي لا خُلِق فيه فلا جدوى منه وسينهار في أقرب وقت، وكان يرفض بشدة المفهوم الغربي للدولة الدينية، ويرى أن الأمة هي الحاكمة، وهي صاحبة السلطة، وهي التي تختار حاكمها، وهي التي تشير عليه، وهي التي تتصح له وتعينه، وهي التي تعزله إذا انحرف أو جار، والخليفة في الإسلام ليس نائباً عن الله، ولا وكيلاً له في الأرض، إنما هو وكيل الأمة، ونائب عنها.

وكان دائم التأكيد أن القرآن ركز في معانيه وأحكامه على منظومة التربية للفرد، وأهمية الجانب الاجتماعي في المجتمع المسلم، والحث على قضاء حوائج الفقراء والمحتاجين، والتحذير من أهل النفاق الذين عانى منهم المجتمع المسلم كثيراً، وما زال يعاني حتى يومنا هذا منهم، خاصة من دعاة العلمانية وأتباعها، كما كان الراحل الكريم يؤكد وجوب احترام الأمة لقيمة الوقت وقيم العمل والعلم والنظام وغيرها من فضائل حثَّ عليها الإسلام؛ حتى يكون لها دورٌ في صناعة الحضارة العالمية.

رحم الله شيخنا العسال، وأسكنه فسيح جناته، وعوِّض الأمة منه خيراً.

شيخنا الجليل أحمد العسال

في رحاب الله

بقلم: د. عصام العريان - المتحدث الإعلامي وعضو مكتب الإرشاد

وقفت في صف الصلاة لأداء فريضة العصر قبل صلاة الجنازة على شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور أحمد العسال بجوار شيوخ أفنوا أعمارهم في رحاب تلك الدعوة المباركة، دعوة الإخوان المسلمين؛ في صحبة ذلك الجسد الفاني الذي صاحبه شاباً طالباً، وعاصروه عالماً مجتهداً، وعرفوه مجاهدًا قوياً في الحق، وجاءوا لوداعه في آخر لحظاته في الدنيا، قرأت ورد في الصلاة كعادتي، فكان قدر الله أن أقرأ الآيات الكريمة من سورة إبراهيم:

﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾.

استبشرت خيراً، وحمدت الله في تدبري لهذه الآيات التي انطبقت على الموقف الذي أحيأ فيه.

ها هو رجل نحسبه من العلماء المجاهدين، الصابرين الثابتين، المتواضعين اللينين، الزاهدين الورعين، يودع الدنيا بعد حياة حافلة في طلب العلم، وبذل العلم، ورعاية الطلاب والعلماء من أقاصي الدنيا إلى أقاصيها، أسس ودرّس وعلم الآلاف على مدار حياته في مصر والسعودية وباكستان وغيرها من بلاد الله، علمهم العلم والعمل والجهاد.

خرج أحمد العسال من الدنيا، ولا خصوم له إلا الذين يحدّون الله ورسوله، ويتكبرون على شريعة الله التي أوقف حياته لخدمتها والدفاع عنها والمطالبة بتطبيقها، خرج من الدنيا زاهداً ورعاً منقفاً لماله كما كان ينفق علمه، لا يبخل على أحد ولا على دعوته، فلطالما رأيته في مكتب المرشد وهو يستر بذله لله، ولا يتأخر في تقديم ولائه لدعوة الإسلام.

كان أحد إخواننا عندما علم نبأ الوفاة طالبنا بالكتابة عن "العسال"؛ لأن الشباب لا يعرف هؤلاء الرموز، فإذا بي واقف على القبر بجوار عدد قليل من الشيوخ ومئات الشباب من محافظات عديدة، الجيزة والمنوفية وأكتوبر والقاهرة والغربية والبحيرة وغيرها، جاءوا جميعاً لوداع الفقيد الجليل، وألقى على القبر موعظة الأخ العزيز د. قطب عبد الحميد قطب، وختمها بدعاء مؤثر، اكتفينا جميعاً بكلمته عن مآثر الفقيد، ولم يملك أحد رفاقه القدامى الذي سمعت صوته، ولم أر صورته إلا أن يودعه بشعارات الجماعة التي وهب حياته لدعوته الإسلامية الشاملة، ويودعه بقول لا إله إلا الله عليها نحيا وعليها نموت وفي سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله.

طالبت رفاق الفقيد العزيز بالكتابة عنه أيضاً: د. سيد دسوقي، د. حسن الشافعي، ولا شك أن العلامة القرضاوي سيكتب، وكذلك العوّا وغيرهم.

صدقني يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء...".
ها نحن في أسبوع واحد تقريباً، تفقد الأمة الإسلامية عالماً بارزاً من شيوخ أهل السنة الذين أفنوا عمرهم في خدمة الشريعة والعلم هو شيخنا العسال، ومرجعاً من مراجع الشيعة العرب، عمل طوال حياته للتقريب بين السنة والشيعة ولوحدة الأمة الإسلامية، والتصدي لبعض الخرافات ولدعم الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني والاستكبار والهيمنة الأمريكية هو العلامة "محمد حسين فضل الله".

والأمل في شباب العلماء كبير، هؤلاء الذين ازدحم بهم المؤتمر الأخير لاتحاد علماء المسلمين في إسطنبول بتركيا.

رحمة الله عليك يا د. أحمد العسال، لقد تركت من ورائك وأمامك علماً نافعا، سيظل يُنتفع به إلى أمد بعيد، وتلاميذاً من الدعاة والعلماء يدعون لك، إن كنت لم تترك ولداً من صلبك يدعو لك فنحن جميعاً أولادك، لن ننسك في دعائنا، وقد تواصلت أنا وزوجتي على أن يكون له

نصيب من دعائنا لوالدينا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأفسح له في قبره مد بصره، وملأه عليه خضراً ونوراً، وتقبل عمله وعلمه وجهاده، وعوّضنا عنه خيراً.

الدكتور أحمد العسال.. الذي عرفته

بقلم: الدكتور جابر قميحة

يرحمه الله فقد كانت صحيفة أحواله نيرة مشرقة في كل مجالات الجهاد والمعرفة.. وفي السطور التالية أسجل ما رأيته بنفسه في الدكتور أحمد العسال على مدى أربع سنوات عشتها معه مدرساً في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد. وقبل ذلك أشير إلى معلومة تلمني بها الأمانة، وتتلخص فيما دأب عليه الأخ الأستاذ صلاح عبد المقصود- صاحب مركز الإعلام العربي- من تكريم "الشخصيات"، وأنصف إذ استهلّ بتكريم أستاذنا الدكتور حسن الشافعي، وطُبعت الكلمات والدراسات التي قيلت في كتاب فاخر، وكان الدور في التكريم على الدكتور أحمد العسال رحمه الله، ولكن المرض اشتدّ به ولم يسمح له بمغادرة الفراش، فاستبدل الأستاذ صلاح بيومه يوماً لتكريمي، وكان ذلك مساء الثلاثاء 13 من أبريل سنة 2010م، على أمل أن يشفي الله أستاذنا الدكتور العسال، فحتفي به جميعاً، ويكرّمه مركز الإعلام العربي، ولكن يشاء الله أن يجعل تكريمه في دار البقاء لا دار الفناء، ويتعمده برحمته الواسعة؛ ليعيش مكرماً في العالم الآخر مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

وعايشتُ الدكتور أحمد العسال في الجامعة الإسلامية في إسلام آباد- كما أشرتُ آنفاً-، كان رحمه الله نائباً لرئيس الجامعة، والواقع يقول إنه كان الرئيس الفعلي للجامعة برعايته لها، وحرصه على إدارتها والنهوض بها على نحو مثالي.

وعاش سنوات الجامعة محبوباً من الجميع: من الأساتذة، والإداريين، والطلاب على اختلاف جنسياتهم، من مصريين وعرب وفلسطينيين وأفغان وأسويين، وغيرهم، وكان يرحمه الله واسع الصدر في الاستماع لأي مشكلة تتعلق بالجامعة أو بعلاقة جهاز العمل من أساتذة وإداريين وطلبة وعمال، وكان دائماً يقول: "فلتعلّموا أن لكل باب مفتاحاً، والحب هو مفتاح القلوب"؛ لذلك وصف الله المؤمنين بأنهم إخوة.. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾ (الحجرات 10)، وعرض علينا صورة سيدنا رسول الله والمؤمنين في الآية الآتية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ (الفتح).

وكان رحمه الله يتسم بالوعي المتيقظ والذكاء الوجداني، ولكنه كان يؤمن بالحكمة المعروفة: "الليبيب من تغافل لا من غفل"، وهو يعني بهذا النهج أن هناك من تفاهات الأمور ما يوجب على المسلم- وخصوصاً إذا كان في موقع القيادة والداعية- أن يغيص النظر عنها لسببين: الأول: أن إغفالها لن يضر بشيء.

والثاني: أن الوقوف عندها والمحاسبة عليها يهدر الكثير من وقت القيادة الحكيمة. وفي عهده عاشت الجامعة- بحق- أزهى سنواتها علماً وتعليماً، ونشاطاً أدبياً وإسلامياً؛ لأنه كان يؤمن بأن الجامعة هي المفرخ الحقيقي لإنتاج رجل المستقبل، وربما قادة المستقبل، وقد قيل لا تسأل عن الطالب ما هو؟، ولكن سل عن الأستاذ من هو، وما هو، ويكفي أن الدكتور العسال تعلم على يد الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، وزامل الدكتور القرضاوي في الجهاد الإسلامي.

وكان الدكتور العسال يعنى دائماً على "الفكر الفكري والتربوي" الذي تردينا إليه، ويعترف لأصحاب الفضل بفضلهم، حتى لو لم يكونوا من ديننا، ومن حديثه قوله: "حينما ذهبتُ إلى جامعة كامبردج رأيتُ هناك شيئاً مختلفاً تماماً عن جامعتنا، فالطالب هناك يختار كل سنة المادة التي يرغب في دراستها على حسب ما يحب؛ لذلك يتخرج هناك الطالب طالباً حياً وقوياً.

وقد قال لأحد محاوريه في صراحة: ليس هناك حلّ سوى أن يتغير المجتمع، فإذا كانت البلد في حالة طوارئ واضطراب ويخيم عليها هذا الذل والخوف فكيف يمكن أن نخلق إنساناً مبدعاً طموحاً وهو محروم من أبسط حقوقه وهي الحرية؟، ولننظر إلى حالة المجلس التشريعي، ونائب به يطالب بإطلاق الرصاص على المتظاهرين ولم يُحاكم.. فالقضية قضية كبيرة وليست صغيرة، ويا ليتهم ينظرون إلى عظمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وحكمته في كلّ الأمور، ويتعلمون منه كيف يخلقون أناساً حقيقيين؛ لأن هذا الجو يُفني المجتمع ولا يُبقيه، ونتيجة كل هذا أن سيطر على الجو الدراسي: فمدارسنا بأسرها أصبحت مدارس شكلية؛ لأن جميع الطلبة تعتمد على الدروس الخصوصية، والدولة لا تُبالي ولا تُفكر في العلاج، فبلدنا حقاً مصابة بالشلل والاستبداد، والاضطراب الذي تحياه بلدنا بطبيعتها قاتلة للإبداع والموهبة، وتخلق الكبر والرياء، وفي ظلّ كل هذه الأجواء الموبوءة لا تنتظر أن تحقّق النهضة الحقيقية المرجوة.

وهذه الكلمات تقودنا لأهم ما في منهج الدكتور العسال في الكتابة وهي:

1- السهولة والوضوح مع التركيز البعيد عن الغموض.

2- الربط بين أمور الدنيا والدين، منطلقاً من إيمانه بالإسلام ديناً شاملاً: فهو دين ودولة، وجندية وقيادة، ومصحف وسيف، وحكمة وسياسة، وكل أولئك بصمة من بصمات تربيته في الحقل الإخواني، ومن ناحية أخرى عطاء لمن يوجههم على مستوى الجامعة، بل على مستوى العالم الإسلامي.

ومن سماته النفسية- كما رأيت- أنه كان متواضعاً إلى أقصى حدٍّ، وأذكر أنني لم أسمع منه طوال السنين التي عشتها معه كلمة "أنا"، بل كان يقول: وإخوانك إن شاء الله سيعملون كذا وكذا أو يعزمون على زيارة المكان الفلاني، وكأنه واحد من الجنود، لا واحد من القادة في المجالين الجامعي والإسلامي.

وأذكر أنني ما سمعته مرّةً يعلي من صوته، بل كان إذا تكلم كان كلامه كأنه همس؛ وذلك من فرط أدبه، ومع أنه حصل على الدكتوراه من إنجلترا لم نجده يفخر ذات يوم بأنه حصل على مؤهله من الخارج.. من أرقى بلاد أوروبا إلا في الضرورة القصوى، وهذا يذكرني بمثال النقيض، وهو أحد أساتذتي بالجامعة في الخمسينيات كان لا يستهل كل محاضرة إلا بقوله متعالياً: أنا أيام ما كنت في (...). ويذكر البلد الأجنبي، وأطروحة الدكتوراه التي حصل عليها منه، كان كل محاضرة يبدها بهذا الاستهلال الكريه، وفي إحدى المحاضرات لم يذكر هذا الاستهلال، فهمس طالب ضحك في أذنه: يا دكتور سيادتكم نسيت أن تذكر جامعة (...).

وأذكر أنني ما رأيت يوماً ثائراً هائجاً على أي عضو في الجامعة من أساتذة ولا طلاب، لذلك كانت توجيهاته تتسلل إلى النفس دون شعور بالحرص، مع الاقتناع الكامل بما يقول.

وكان له اتصالات دائمة مع الدكتور عبد الله عزام- رحمه الله- الذي تفرغ للجهاد بعد ذلك، وكان آخر لقاء لي مع الدكتور عزام وأنا ألقى محاضرة في الجامعة عن (رائد الجهاد الإسلامي) وكان معه الشيخ الصواف والدكتور أحمد العسال رحمه الله. ومع هذه الجدية الصادقة في العمل لم يكن الدكتور العسال مترمماً، ففي أوقات فراغه نذهب إلى مكتبه أنا وبعض الإخوة، ويسألني عن آخر نكتة، فأرويها له (وهي غالباً سياسية) فيضحك من أعماقه (ولكن بصوته الهادئ) ثم أروي له الثانية، فيواصل الضحك ويقول للإخوة: "حوشوا الجعد ده عني"، والسبب أنه لا يستطيع مواصلة الضحك الذي يأخذ منه مجهوداً. إن ما ذكرته لا يتعدى أن يكون إضاعات سريعة جداً عمّا عرفته مباشرة عن أستاذنا الدكتور أحمد العسال، والمقام يتسع لما هو أكثر بكثير، ويبقى من أحمد العسال جوانب متعددة سيتناولها من هم أوعى مني من الإخوة والأساتذة مثل: أحمد العسال في ركب الإخوان- أحمد العسال مفكراً- أحمد العسال وأثاره في الشباب الإسلامي... إلخ.

الدكتور أحمد العسال في رحاب الله

بقلم: د. جمال نصار

حينما سمعتُ بخبر وفاة العالم الجليل والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم العسال- يرحمه الله- لم أتمالك نفسي من الحزن عليه وعلى العلماء الذين يذهبون إلى رحاب ربهم، فمنذ وقت قريب رحل عنا الدكتور الفقيه الدستوري توفيق الشاوي، والدكتور عز الدين إبراهيم وغيرهم كثير؛ حيث فقدت أمة الإسلام في السنوات الأخيرة عدداً من الرعوس الكبار في العلم والدعوة والعبادة، نسأل الله تعالى أن يُجبر مصاب المسلمين بهم، وأن يعوضهم عنهم، وأن يُخلف عليهم بخير إنه سميع مجيب. إن للناس حقاً في أن يحزنوا على موت العلماء الربانيين، وأن يبكوا فراقهم، وهم في هذا الزمن في تناقص، وبتناقصهم يكثر الجهال، ويظهر من يعلم ولا يتنفع بعلمه، ولا ينفع به الناس؛ فيفسد الزمان حينئذ.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً ففستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"، وسئل سعيد بن جبيرة: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

الدكتور العسال من أعلام دعوة الإخوان المسلمين العاملين العالمين، وهو نموذج فريد من العلماء الأتقياء الأوفياء لدينه ودعوته، المضحّي بكل ما يملك، ولا تزكّي على الله أحداً، فأنت حينما تسمع إليه أو تجلس بين يديه تشعر أنك تجلس مع عالم رباني من الطراز الأول، يُنصت إليك في وداعة وحب ومودة، ويُصرّ على تقديم واجب الضيافة في حفاوة وكرم، وإذا تكلم تكلم بالقرآن وسير الصحابة والتابعين، وحينما تسأله في أمر ما ترى في ردّه البيان وفي توجيهه الحكمة.

وحينما كنت أعمل محاضراً في الجامعة الإسلامية في سريلانكا في نهاية التسعينيات من القرن الماضي سعدت برويته أثناء زيارته في احتفالية الجامعة بمناسبة مرور 25 عاماً على تأسيسها، وكان له أثر بالغ في جموع الحاضرين من الزائرين والضيوف وأساتذة الجامعة والطلاب.

وقد أتمّ الدكتور العسال حفظ القرآن كاملاً في سنّ العاشرة والنصف، وحصل على جائزة الملك فاروق التي خصّصها لمن يُتمّ حفظ القرآن كاملاً قبل سنّ الثانية عشرة، وحصل على الدكتوراه في أصول الفقه من إنجلترا عام 1968م، وحاضر في العديد من الجامعات، وتجوّل في أنحاء الله ناشراً لوسطية الإسلام بين الناس، كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية، وعمل مستشاراً لرئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد - باكستان، وهو من مواليد 16 مايو 1928م، وله باعٌ طويل في تأليف المناهج الإسلامية، وقد أسّس دار الرعاية الإسلامية في إنجلترا، ورافق الدكتور يوسف القرضاوي في دراسته بكلية الشريعة بالأزهر الشريف. رحم الله شيخنا الجليل، وعضنا عنه خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

روح تسكن المحراب.. أحمد العسال في ذمة الله

بقلم: د. خالد فهمي - كلية الآداب - جامعة المنوفية

في صباح يوم السبت الثامن والعشرين من شهر رجب سنة 1431هـ، الموافق للعاشر من شهر يوليو سنة 2010م، رحل العالم الزاهد الدكتور أحمد العسال أحد أئمة الدعوة الإسلامية المعاصرة بعد جهاد فكري ودعوي وحركي ممتد. وأحمد العسال - رحمه الله تعالى - كان رجلاً زاهداً ومتواضعاً جداً، ولم يمنعه زهده ولا تواضعه أن يعمل للأمة الإسلامية بما هي كيان عالمي تحوطه وترعاه وتجمع شمله عقيدة واحدة، وفكرة واحدة.

رحل هناك في الإسكندرية، وشيئاً إلى مثواه الأخير في مدينة السادس من أكتوبر بعد أن صلى عليه في أشهر مساجدها مسجد القارئ الراحل الشيخ الحصري رحمه الله.

وهذه الورقة/ المراثية تطمح وهي تكتب ورقة الوداع الأخير أن تقف لتستجلي عدداً من الملامح الحية للراحل الكريم، داعيةً المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده في الصالحين من خلال ما يلي:

(1) أحمد العسال.. حدود الموقع الفكري والدعوي

يوشك الذين يعرفون الراحل الكريم أن يتوقفوا أمام محاور ثلاثة مهمة تحكّم سيطرتها على صورة شخصيته الفريدة، فقد كان العسال زاهداً صحب عدداً من الأئمة الأزهريين المعاصرين، والتحم معهم في عددٍ من أنشطة الحركة الطلابية على ما يحكي رفيق عمره الدكتور يوسف القرضاوي في مذكراته ابن القرية والكتاب.

ثم كان العسال لندنياً بما حازه من درجة الدكتوراه من إنجلترا ثم كان أستاذاً جامعياً في عددٍ من الجامعات العربية، ولا سيما في المملكة العربية السعودية، وكان من أوائل من اضطلع بتعريف الدوائر الأكاديمية العربية بمبادئ الاقتصاد الإسلامي، وكتابه في الاقتصاد الإسلامي الذي كان من أوائل أدبيات هذا الفرع الشاهد على عطاء الصحوة الإسلامية - دليل على ما أقره.

ثم اختتم حياته العملية والعلمية مديراً أو رئيساً للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

وهذه المحطات الأربع تركت ملامح بارزة لوجه أحمد العسال في الأوساط الفكرية الإسلامية يمكن إجمالها فيما يلي:

أ - شهرته عالماً وداعيةً وأكاديمياً بارزاً معروفاً بمنزلته الإسلامية التي تجاوزت الحدود والإقليمية لتغطي الجغرافية الإسلامية كلها.

ب - تقدير دوره الوطني والقومي؛ وهو الأمر الذي تجلّى في عودته إلى مصر وإيثاره البقاء فيها بعد إنجاز مهمته العلمية والدعوية في الخارج.

ج - استمرار قيامه بعبء الدعوة إلى الله تعالى بقلمه وحركته، وتقديره لأعلام المفكرين الدعاة، وقد كنت شاهداً على اشتراكه في فعاليات المؤتمر التكريمي الذي أقامه مركز الإعلام العربي بالقاهرة للاحتفال بعطاء الدكتور حسن الشافعي رئيساً للجلسة الأولى في هذه الفعاليات من نحو عامين فقط.

صحيح أن العسال كان يؤثر البقاء في الظل بعيداً عن الأضواء التي فتنت الكثيرين، لكنه لم يكن يصمت أمام أمر يرى فيه خطراً أو بعض خطر على الفكرة الإسلامية، وهو ما يتجلّى مثلاً في اتصاله بالأستاذ فهمي هويدي مثلاً عندما بدا من بعض الكتابات محاولات لإعلاء تقدير منجز أتاتورك في تركيا ليقرر أن الأمة طالما أضررت من جرائم أتاتورك، يقول فهمي هويدي: "وأبرز الذين اتصلوا بي العالم الزاهد الدكتور أحمد العسال".

هذا الاستمرار في الدفاع عن دين الله تعالى والدعوة إليه دليل على ما ينبغي أن يفهم من زهد الإيجابي غير الانعزالي.

(2) حركة العسال ضابطها هموم الأمة لا جراح الذات

والمتمثل لحركة العسال رحمه الله وكتابات وحواراته مع الآخرين التي حملت عددًا من المراجعات والردود يقف على أمر مهم في فقه الدعوة الإسلامية سار عليه الراحل الكريم يمكن تلخيصه في العبارة التي تصدرت عنوانًا هنا لتكون موجزًا يلخص رؤيته، ويوثق طبيعة موقفه بهموم الأمة، وبفضية رفعتها وتقدمها ورفيها.

ومراجعة حوار مع فهمي هويدي مثلاً حول أتاتورك تركز على أمرين هما:

1- تعداد ما ارتكبه أتاتورك بحق الإسلام.

2- تعداد ما ارتكبه أتاتورك بحق المسلمين.

كان هويدي في مقاله "درس في الموازنات" سعيدًا بفارق ما ظهر من أمر مهم يتعلق بإعادة تقييم منجز عبد الناصر؛ ما يؤكد أن العسال كان يتحرك بفقه دعوي يحمل عنوانًا مهمًا هو أن جراح الذات ليست عاملاً محوريًا.

ضبط حركة الداعية الإسلامي

لقد اصطلح العسال وكثير من إخوانه أبناء حركة الإخوان المسلمين بنيران عبد الناصر، لكن هذه الجراح لم تكن المحرك الفاعل في مراجعات العسال لفهمي هويدي أو غيره، وهو بعض ما ورثته الحركة الإسلامية المعاصرة من ميراث النبوة الكريم الذي يظهر تعاليًا ظاهرًا على جراح الذات في لحظات التمكين بعد فتح مكة مثلاً.

لقد كان مفهومًا أن يتحرك العسال في بعض مراجعاته لما دعا إليه فهمي هويدي (لو حدث) بوجي من جراح الذات التي نكأها عبد الناصر، لكن شيئًا من ذلك لم يكن، وهو الأمر الذي يرقى بتجربة العسال الفكرية والدعوية، وتقرب بمنهجه من الدائرة السنوية السلفية بمعناها المتابع للسلوك النبوي الكريم نحو خصومه في فترات التمكين.

الدعوة قيام بحق الله ولو خالفت طبيعة النفس وما تهواه، لقد أجمع كل الذين عرفوا الراحل المرحوم الدكتور أحمد العسال أنه يؤثر العزلة، ويحب الابتعاد عن الأضواء، ويهوى الزهد، وهو ما يبدو أنه كان طبيعة خلقية مستقرة، لكن هذا الإيثار للظل بما هو سجية لم يمنعه من الحركة للإسهام قدر طاقته في الدفاع عن دين الله والدعوة إليه، وهو ما يدل على أن مخالفة هذه الطبيعة أو الجبلة أو السجية المؤثرة للابتعاد عن أجواء الشهرة والأضواء عندما يفرض الواجب الدعوي الخروج من دوائر الظل والسعي والاتصال والكتابة والحوار والمراجعة.

وهو منطلق دال على أن الدوران مع متطلبات الدعوة لا حول حظوظ النفس هو الأصل الحاكم لعمل الداعية، وهو أمر يعكس وعيًا حقيقيًا بطبيعة الفكرة الإيمانية، وهو بعض ما يمكن استنباطه من شهرة أبي بكر الصديق في مواجهة المرتدين مع ملاحظة رقة قلبه، وخفوت صوته من آثار هذه الرقة، وهو ما يفسر لنا كذلك لين عمر في غير ما موقف من تاريخ الإسلام حتى قيل له يوماً: "أجبار في الجاهلية، خوار في الإسلام يا عمر!".

المسألة هي الدوران مع واجبات الدعوة والدفاع عن الله ودينه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقيام بعبء البلاغ عن الله تعالى، يستوي في ذلك موافقة هذا الدوران لطبيعة النفس أو عاندها وخالف هواها.

لقد كان أحمد العسال عالمًا دينيًا مهمومًا بعالمية الفكرة الإسلامية عاملاً لها، يؤذيه أن يشوش عليها أو على رموزها.

كان مؤثرًا للصمت والزهد والبعد هناك في الظل إلا أن يشعر بمخاطر تتهدد الفكرة أو الحركة الإسلامية، فيكسر صمته ويقطع عزلته.

رحل واحد من العلماء الربانيين، والدعاة الكرام، وصورته البريئة الزاهدة الهادئة باقية بيننا.

رحل جسم طالما براه الصمت وهذه التعبد، وأنحفه زهد ظاهر، وبقيت روحه تخلق في محراب الدعوة إلى الله، رحم الله العسال وأكرم نذله في أعز جوار.

والله أكبر والله الحمد

وعوضنا الله في فقيدنا الراحل خيرا

وأسكنه الله فسيح جناته

وجزاه عنا وعن تلامذته ومحبيه خير الجزاء

أسرة "رسالة الإخوان"